تونس

بلاد التنوّع

> دريك مكغرورتي

يلقي نظرة على شمال تونس البهيج.

بعد تأخير بسبب الإجراءات الأمنية فوق العادة في بريطانيا وصلت الطيارة التابعة للخطوط الجوية البريطانية إلى تونس في مدى أقل من ثلاث ساعات من لندن. واستمتعنا بخدمة جيدة. يزور الملايين من السياح تونس سنويا التي تتمتع بتنوع كبير. في غضون ساعة من الراحة بجنب مسبح الفندق أستطيع الوصول إلى قرطاج.

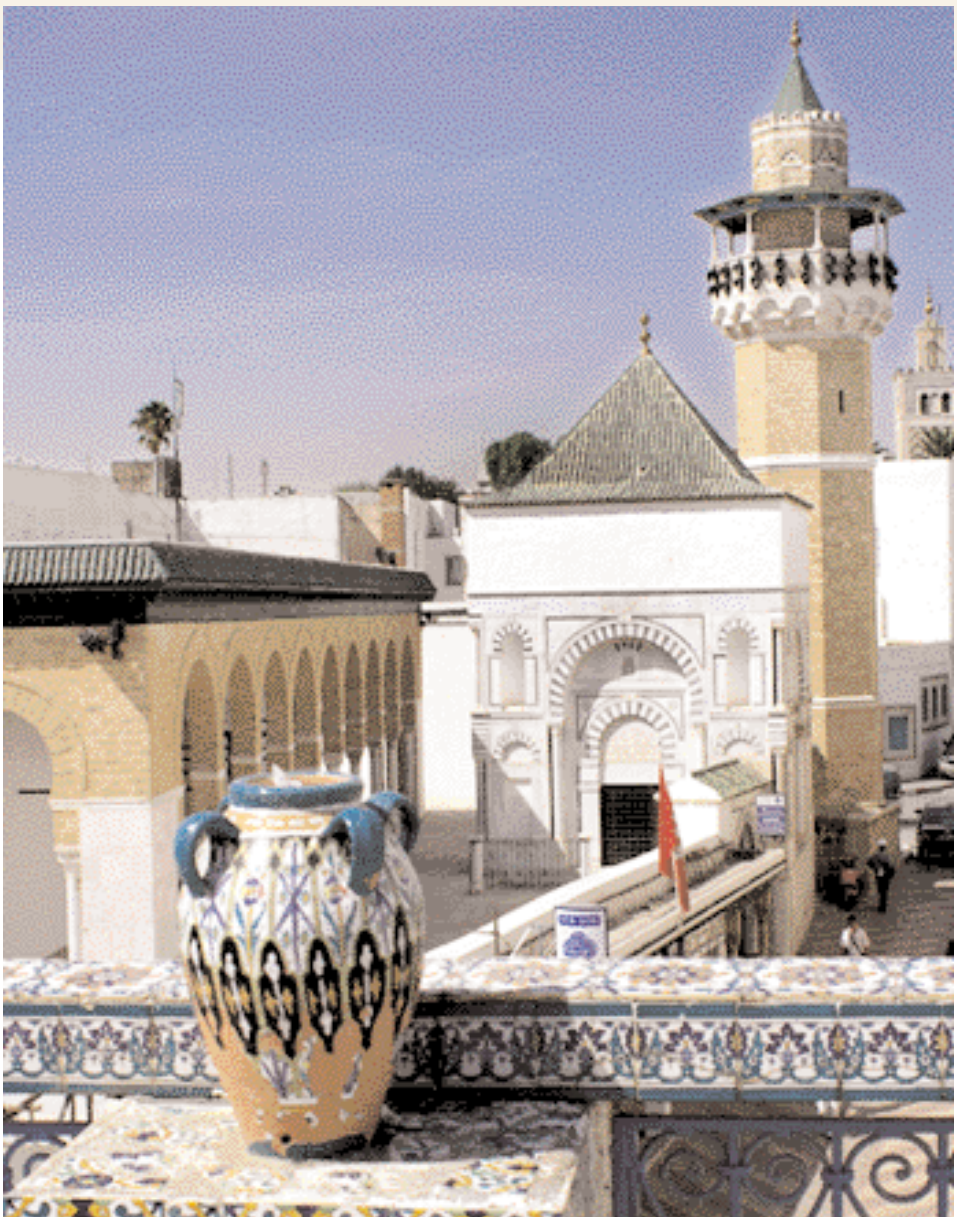

تونس العاصمة Tunis

هناك فنادق تناسب كل المستويات. بقيت في فندق كورينثيا في قمرت. إن جناح غرف النوم المكيفة الهواء، واسع وله شرفة ومجهز بتلفزيون، وفيه حمّام كبير ودوش ومرافق صحية. وأما المرافق الترفيهية فهي تشمل شاطئ خاص، حوض سباحة كبير مع كراس للجلوس تحت الشمس، ناد صحي وألعاب للأطفال. وجبات الطعام (البوفيه) تعرض مجموعة واسعة للاختيار، وهناك أيضا مطعم معد. وجميعها تتميز بالبرودة والجودة ونقاء المظهر. وبالرغم من أن الفندق هو في الدرجة الأولى مقام للأعمال والمؤتمرات، فقد أخبرني المدير العام للفندق محمد غوتوني أنه يسعى إلى ضمان استرخاء أصحاب العطلات في جو غير رسمي وهم يتلقون الاهتمام الكامل من الموظفين. وهناك خدمة حافلات مجانية إلى وسط تونس العاصمة التي تبعد 15 كم. وكان الفندق مكانا مريحا للاسترخاء بعد يوم التسوق والزيارات وضجيج الأسواق.

تجمع العاصمة تونس، بنجاح، بين القديم والحديث. فهناك مسجد الزيتونة الكبير الذي هو من أعرق وأبرز مساجد المغرب العربي (أسس في أواخر القرن السابع الميلادي). ورغم أن حي القصبة يحتفظ باسم "القلعة الملكية" التي لم تعد موجودة، فإن العديد من المباني الجذابة موجودة، بما فيها جامع الموحدين. الأسواق هي مغناطيس للزوار، وبعض المناطق متخصصة في المجوهرات والسجاد والملابس. وقد لاحظت الكثير من السلال المبطّنة التي اكتشفت أنها هدايا من الخطيب إلى

عروسه! خارج المركز يوجد متحف باردو الذي تأسس في العام 1888 في قصر أعيد إعماره وهو يحتوي مجموعة رومانية رائعة. وقد أعجبت كثيرا بالموزائيك المعروض، حيث تم الحفاظ على الأرضيات والجدران بكاملها، وبعضها بقي، في الواقع، على حاله منذ القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن السابع الميلادي. وتدل مشاهد الصيادين المحليين، والجنود، وصيد الطيور، والأسماك والحيوانات، بجلاء على طابع الحياة منذ ألفي سنة.

تبدو قرطاج للنظرة الأولى مخيبة للآمال. فهناك القليل من الآثار الأصلية التي يمكن رؤيتها. ولكن مع إدراك أن الثقافات الأصلية قد دمرت بشكل منتظم على يد سلالات متعاقبة، يصبح من المدهش بقاء شيء على الإطلاق. وقرطاج التي كانت قائمة على الأقل منذ القرن التاسع قبل الميلاد، ساواها الرومان بالارض في 159 قبل الميلاد، ولكن بعد ذلك بكثير بنى يوليوس قيصر بها مدينة كبيرة عام 44 بعد الميلاد، مزودة بالفيلات والمسارح والحمامات لتكون عاصمة لأفريقيا. وتقف الكنيسة الكاثوليكية التي بنيت في نهاية القرن التاسع عشر بارزة على هضبة بيرسا وقد أصبحت الآن مركزا ثقافيا. وإذا أردت الفهم الحقيقي للتاريخ فعليك زيارة المتحف، فمجموعة القطع المعروضة فيه تعطي معنى حقيقيا للبقايا الآثارية على نطاق زمني واسع.

على تلة مرتفعة مع منظر رائع للريف المجاور تقف سيدي بوزيد، وهي مدينة صغيرة جذابة. والمدينة أصلا موقع لضريح سيدي بوسعيد الذي لا يزال قائما وقد كان بوسعيد يتعبد هناك ونمت حوله المدينة. شوارعها محاطة بالبيوت البيضاء ذات الأبواب ومغاليق النوافذ المصبوغة باللون الأزرق، وهي تحاكي في لونها السماء، وتذكّرني بجزيرة ميكونوس اليونانية. ولكن وجود المسجد يحدد جذور المدينة الإسلامية. وفي الطابق الأرضي توجد محلات صغيرة مزدحمة تؤدي إلى الشوارع المرصوفة بالطابوق، وهي تعرض القطع الأثرية، والمنتوجات اليدوية وأعمال كل الفنانين التونسيين والعالميين، ولم أستطع مقاومة شراء لوحة تصوّر الشارع مع المسجد.

سوسة هي ثالث أكبر مدينة في تونس وتستقطب أكبر عدد من السياح. والمدينة المزدحمة هي أكثر ترابطا من تونس، فهي محصورة ضمن جدران عالية تعود إلى القرن الثامن الميلادي. وخلف الأسوار، في المقابل، هناك مزارع الزيتون وميناء مزدهر يصدّر منه النفط والصوف والملح. الكورنيش الطويل والشواطئ الرملية الجميلة مكتظة بالعائلات المتمتعة بالإجازة. المتاجر الحديثة والفنادق والمطاعم تشكّل واجهة البحر. في المنستير في وسط الأغلبية المسلمة توجد مقبرة بالقرب من أسوار المدينة والبحر، وفيها ضريح الحبيب بورقيبة، الرئيس التونسي السابق الذي حكم لمدة 31 سنة بعد استقلال البلاد، وهو يستحق الزيارة. سرت في الممر الرخامي لأزور الصرح الذي كلّفت إقامته عدة ملايين من الدنانير والذي جرى توسيعه وتجميله باستمرار خلال السنوات الأخيرة من حكمه. حتى من مسافة عن الضريح يبدو برجاه والقبة بمنظر متميز. وعند الاقتراب منه، يمكن تقدير تفاصيل هذا البناء. دخلت غرفة الضريح من المستويين لأنظر إلى القبر الأبيض المحاط بكتابة بالحروف العربية البارزة.

لقد نمت الحمامات من مدينة صيد هادئة على البحر إلى مركز سياحي سريع النمو، ومن عناصر جاذبيتها هي الشواطئ الرملية الجميلة المدعومة بأسوار المدينة القديمة المحصّنة، التي تكملها حاليا المتاجر والفنادق الحديثة. ولي ذكريات حية عندما زرت المدينة قبل 35 عاما حيث كان تجّار الجمال في سوق نابل، ولا يمكن استعادة هذه الذكريات. وعلى أية حال فإن الحي القديم يحتفظ بسحر منازله ذات الأبواب المحاطة بإطارات من الصخر المنحوت.

طبعا هناك أكثر من ذلك بكثير، فهناك القيروان بمسجدها الرائع والذي هو مزار للمسلمين، ودوجا حيث الآثار الرومانية الكثيرة والعمق الجنوبي حيث تبدأ الصحراء الحقيقية. ربما في العام القادم! ■

نصائح

خذ معك المساحيق التي تمنع تأثير الشمس، وقبعة واسعة، وطارد الحشرات، ودليل سياحي جيد. في كل المدن، وبعيدا عن مراكز التسوق التي تبيع البضائع الحديثة، توجد محلات تحافظ جيدا على المهارات الحرفية. تتوفر في الأسواق بكثرة منتجات السجاد والبسط ومصنوعات الفخار والذهب والنحاس، والمنتجات الجلدية. المساومة هي العرف السائد، ابدأ بأقل من ثلث السعر الذي يطلبه البائع، واجعل أملك أنك ستدفع أقل من النصف.

مسجد في قرطاج

Mosque at Carthage

ضريح الرئيس بورقيبة

Bourgihba Mausoleum